المحاضرة 1 : مدخل لمجال البحث العلمي

عناصر المحاضرة

- **مفهوم البحث العلمي وأهميته في التربية الخاصة**
- **خصائص البحث العلمي.**
- **خصائص الباحث العلمي في ميدان التربية الخاصة.**
- **أهمية البحث العلمي في التربية الخاصة**

1- المحور الأول: مفهوم البحث العلمي وأهميته في التربية الخاصة

تعددت تعريفات الباحثين للبحث العلمي باختلاف مدارسهم الفكرية والثقافية، إلا أن معظمها يلتقي في جوهره باعتباره نشاطاً منظّماً يهدف إلى الوصول إلى المعرفة الدقيقة القابلة للتحقق. فقد عرّفه ويتني (Whitney, 1946, p.18) بأنه **استقصاءٌ منهجيّ دقيق يرمي إلى اكتشاف حقائق وقوانين عامة يمكن التحقق منها لاحقاً** .وذهب بولانسكي (Polansky, p.2)إلى أن البحث العلمي هو **عملية منظّمة لإضافة معارف جديدة يمكن اختبارها وتعميمها علمياً**.

أما هيلواي (Hillway, 1964, p.5) فاعتبره **وسيلةً للدراسة تهدف إلى حل مشكلة محددة عبر تقصٍ شامل ودقيق للشواهد والأدلة القابلة للتحقق**، في حين عرّفه ماكميلان وشوماخر بأنه **عملية منهجية لجمع البيانات وتحليلها لتحقيق غرض معين** .وفي السياق نفسه، يرى توكمان أن البحث العلمي هو **محاولة منظّمة للإجابة عن الأسئلة أو حل المشكلات التي تواجه الأفراد أو الجماعات في مواقف الحياة المختلفة**)عودة وملكاوي، 1992، ص 16.(

وقدّمت ملحس (1960، ص 24) تعريفاً أكثر عمقاً حين وصفت البحث العلمي بأنه **محاولة لاكتشاف المعرفة وتنميتها وفحصها ونقدها بموضوعية، ثم عرضها عرضاً متكاملاً يسهم في ركب الحضارة الإنسانية** .أما غرايبة وزملاؤه (1981، ص 5) فقد رأوا فيه **طريقة منهجية لاستقصاء الحقائق الجديدة والتحقق من الحقائق السابقة والعلاقات والقوانين التي تحكمها** .وبدوره، يعرّف أبو سليمان (1400هـ، ص 21) البحث العلمي بأنه **دراسة متخصصة لموضوع محدد وفق مناهج وأصول علمية دقيقة.**

وفي ميدان التربية، يُعرَّف البحث التربوي – وهو فرع من فروع البحث العلمي –

في *معجم التربية وعلم النفس* بأنه **دراسة دقيقة مضبوطة تهدف إلى توضيح أو حل مشكلة تربوية وفقاً لأساليب تتلاءم مع طبيعتها وظروفها** (فودة وعبد الله، 1991، ص 85). كما يراه عودة وملكاوي (1992، ص 16) بأنه **جهد منظّم وموجّه يهدف إلى إيجاد حلول للمشكلات التربوية والتعليمية في ميادين التربية المختلفة.**

وانطلاقاً من هذه التعريفات، يمكن القول إن **البحث العلمي هو عملية منهجية منظّمة يسعى من خلالها الباحث إلى دراسة ظاهرة أو مشكلة محددة، بغرض تحديد العوامل المؤثرة فيها والتوصل إلى تفسيرات أو حلول علمية قائمة على الدليل. أي أنه**

"عملية منظمة ومقصودة تهدف إلى اكتشاف معرفة جديدة أو تطوير معرفة قائمة، باستخدام مناهج وأساليب علمية دقيقة تعتمد على الملاحظة الموضوعية، والتحليل المنطقي، والتجريب المنظم، للوصول إلى نتائج يمكن تعميمها وتوظيفها في الواقع".

وفي ميدان **التربية الخاصة**، يتخذ البحث العلمي بعدًا إنسانيًا عميقًا، إذ لا يقتصر على توليد المعرفة النظرية، بل يسعى إلى **تحسين نوعية الحياة والتعليم والرعاية للأفراد ذوي الاحتياجات الخاصة**، من خلال دراسات علمية تكشف عن احتياجاتهم، وتقيّم فعالية البرامج والخدمات الموجهة إليهم، وتقترح سبل تطويرها بما يتلاءم مع خصائصهم الفردية.

2- ثانيًا: خصائص البحث العلمي

يتميز البحث العلمي بعدد من الخصائص التي تجعله مختلفًا عن أي نشاط معرفي عفوي أو انطباعي. ومن أبرز هذه الخصائص:

1- الموضوعية والابتعاد عن التحيز

يقوم البحث العلمي على **الحياد** في تناول الظواهر، دون أن يتأثر الباحث بمعتقداته أو ميوله الشخصية.
وفي التربية الخاصة، تكتسب الموضوعية أهمية مضاعفة، لأن الباحث قد يتعامل مع فئات حساسة تستدعي منه ضبط انفعالاته وتحييده لأي حكم مسبق حول قدراتهم أو سلوكهم.

2- المنهجية والتنظيم

البحث العلمي **عملية منظمة** تمر بمراحل محددة تبدأ بتحديد المشكلة وتنتهي باستخلاص النتائج والتوصيات.
فكل خطوة تبنى على ما قبلها، مما يضمن ترابط العمل ودقته، ويُبعده عن الارتجال.
المنهجية هنا تعني الالتزام بخطة واضحة، سواء في جمع البيانات أو تحليلها أو تفسيرها.

3- إمكانية التحقق والتكرار

من خصائص البحث العلمي أنه **قابل للتحقق**؛ أي يمكن لباحثين آخرين إعادة تطبيقه أو فحص نتائجه باستخدام الأدوات نفسها أو في ظروف مشابهة، للتأكد من صحتها.
وهذا يضمن **مصداقية النتائج** ويجعلها قابلة للاعتماد في الممارسات التربوية.

4- الاعتماد على الأدلة والشواهد

لا يبنى البحث العلمي على الآراء أو الانطباعات الشخصية، بل على **أدلة قابلة للقياس والتحقق**.
ففي مجال التربية الخاصة، يعتمد الباحث على أدوات مثل المقابلات المقننة، والاستبيانات، والملاحظات الميدانية، والاختبارات المعيارية لقياس الظواهر بشكل علمي.

5- القابلية للتعميم

يسعى الباحث إلى الوصول إلى نتائج يمكن **تطبيقها في مواقف مشابهة** وليس فقط في الحالة التي درسها.
ومع ذلك، في التربية الخاصة، يجب توخي الحذر في التعميم بسبب خصوصية الفروق الفردية بين الفئات، لذا يُراعى أن يكون التعميم مقيدًا بشروط محددة.

6- التراكمية

يُبنى البحث العلمي على ما سبق من دراسات، ويُضيف إليها لبنة جديدة من المعرفة.
الباحث لا يبدأ من فراغ، بل ينطلق من نتائج سابقة يسعى إلى تطويرها أو اختبارها.

3- ثالثًا: خصائص الباحث العلمي في ميدان التربية الخاصة

نجاح البحث العلمي لا يتوقف فقط على اتباع المنهج العلمي، بل يعتمد كذلك على **خصائص الباحث ذاته**، خاصة في مجال حساس وإنساني كالتربية الخاصة.
وفيما يلي أهم الخصائص التي يجب أن يتحلى بها الباحث في هذا الميدان:

1- الموضوعية والحياد

يجب على الباحث أن يتعامل مع المبحوثين دون أحكام مسبقة أو انطباعات، خصوصًا أن فئات ذوي الاحتياجات الخاصة قد تُثير مشاعر التعاطف أو الشفقة، مما قد يوجّه النتائج بطريقة غير علمية.

2- الصبر والدقة

يتطلب البحث في التربية الخاصة جهدًا متواصلًا وملاحظة دقيقة على فترات طويلة، نظرًا لطبيعة الحالات المدروسة وصعوبة تواصل بعضها.
لذا، ينبغي أن يتحلى الباحث **بصبر علمي** ومثابرة عالية على جمع البيانات وتحليلها بعناية.

3- الحس الإنساني والأخلاقي

من الضروري أن يتعامل الباحث **بإنسانية واحترام** مع المشاركين في البحث، وأن يلتزم بالسرية المطلقة وبمبدأ "عدم الإيذاء"، سواء النفسي أو الاجتماعي أو الجسدي.

4- القدرة على التواصل الفعّال

يحتاج الباحث إلى مهارات تواصل عالية مع مختلف الأطراف: المبحوثين، أولياء أمورهم، الأساتذة، والمشرفين التربويين، لضمان جمع بيانات دقيقة وموثوقة.

5- الإلمام النظري والعملي بالميدان

من خصائص الباحث الجيد أن يكون على **دراية علمية واسعة** بنظريات التربية الخاصة، وأن يمتلك **خبرة ميدانية** تساعده على فهم الواقع التعليمي والاجتماعي للفئات المستهدفة.

6- النزاهة العلمية

على الباحث أن **ينسب الأفكار إلى أصحابها**، ويتجنب التلاعب بالبيانات أو تزوير النتائج، لأن الهدف من البحث هو خدمة العلم والمجتمع، لا تحقيق مكاسب شخصية.

7- الإبداع والابتكار

تقتضي طبيعة البحث العلمي القدرة على التفكير النقدي والإبداعي، والسعي لابتكار حلول جديدة للمشكلات التربوية، بدل الاكتفاء بتكرار الدراسات السابقة.

4- رابعًا: أهمية البحث العلمي في التربية الخاصة

يُعدّ البحث العلمي الركيزة الأساسية لتطور ميدان التربية الخاصة. فهو لا يقتصر على إنتاج المعرفة، بل يسهم في **تحسين الواقع التربوي والنفسي والاجتماعي** للأفراد ذوي الاحتياجات الخاصة.
وفيما يلي أهم جوانب أهميته:

1.تحسين جودة الخدمات التربوية والعلاجية

يساعد البحث العلمي في تقييم البرامج التربوية والعلاجية وتطويرها بناءً على نتائج علمية دقيقة، مما يضمن **رفع كفاءة الخدمات المقدمة** لهذه الفئات.

⇐ **تطوير المناهج والطرائق التعليمية**

من خلال البحوث، يمكن تحديد أنجع الأساليب التعليمية المناسبة لكل فئة من فئات الإعاقة، مما يسهم في **تحقيق تعليم فردي فعّال**.

⇐ **دعم اتخاذ القرار التربوي**

توفر نتائج البحوث قاعدة بيانات وأدلة علمية تمكّن المعلمين والمربين وصناع القرار من **اتخاذ قرارات تربوية مبنية على الأدلة**، لا على الحدس أو التجربة الشخصية.

⇐ **المساهمة في صياغة السياسات والبرامج**

تُستخدم نتائج الدراسات العلمية في **بناء السياسات الوطنية الخاصة بالتربية الخاصة**، كسياسات الدمج والتأهيل والرعاية، لضمان استنادها إلى المعرفة العلمية الدقيقة.

⇐ **تعزيز دمج ذوي الاحتياجات الخاصة في المجتمع**

يسهم البحث العلمي في **فهم العقبات الاجتماعية والنفسية والتربوية** التي تعترض دمج الأفراد ذوي الاحتياجات الخاصة، واقتراح الحلول المناسبة لتجاوزها.